



تصدير

نيويورك منذ عام ١٩٧٣. وقد عاد هذا المغامر الدائم الترحال منذ وقت قريب إلى عشقه الأول وموهبته الأصلية أي ممارسة الفنون البصرية. فبدأ يعرض، في عام ٢٠٠٢، مجموعات متكاملة من الصور الكبيرة الحجم بالألوان التي تسبر أغوار العلاقات الشخصية عبر مختلف الجنسيات والأجيال والأعراق والحقب التاريخية.

"واحد"

تبين الصور الواردة ضمن مجموعة تحمل عنوانا معبراً هي مجموعة "واحد"، زمرة مختارة من الضيوف، من خلفيات

يعرض هذا الكتاب الإحساس الأكثر أهمية بين الأحاسيس الإنسانية كلها مترجماً بعبارة - "أحبك" - مكتوبةً بخط يد أكثر من أربعين شخصاً بلغات من سائر أنحاء العالم. تعبر هذه المجموعة، من خلال تقديمها خطوطاً تقليدية وألواناً بهيجة ومعاصرة جنباً إلى جنب، عن اللحظة الأنيبة وعن الخلود، عن الخصوصية الثقافية وعن الإحساس الكوني في ذات الوقت. وهي بذلك تمثل آخر مرحلة وأكثرها جلاء من مراحل الاستكشاف الثقافي المتواصل التي بلغها بيير سيرني، فنان الأداء والمصور الفوتوغرافي. ولد بيير سيرني وترى في فرنسا وهو يقيم في

كل شخص دعي للمشاركة في هذا الطقس الياباني المهيّب هو في الحقيقة حر في ملء مكعب سيرني الفارغ بردود فعله وبمنشآتة العقلية. أما الهدوء الذي يتلو دائما تلك المشاركة فيوحي بشدة بأنه حتى العوالم والفلسفات التي تبدو متنافرة يمكن التقريب بينها بشكل مثير إذا ما اجتمعت الظروف المواتية. ولو أديت مراسم الضيافة كما يجب، فإن القيم الإنسانية العليا المشتركة من غير تعمد تتبثق عن كياسة بارعة.

"وجه"

الصور الفوتوغرافية الملتقطة عن قرب شديد الواردة ضمن مجموعة "وجه" من صور سيرني تُظهر وجوها لتمائيل من مختلف الحضارات والعصور التاريخية. وقد جُردت كل صورة، بعد أن عُبع لإطارها بما يبرز عيون التماثيل الذكرية، من الزخرف الاجتماعي الزائد. بل إن كل صورة تركّز بعكس ذلك، على "النافذتين المظلتين على الروح" وعلى العناصر النفسية الأساسية لبنية الوجه التي تسمو فوق القسمات الكاشفة للعنصر أو العرق. فيُنظر إلى حاجب وأنف وشفاة وعيون شخص كبير على أنها تكوّن علاقة رياضية شبه ثابتة عبر الزمان والمكان. أما النتيجة فهي نوعا ما صورة مرّكبة لوجه الإنسان وتسجيل للتماثل المذهل للأشكال التي تصور بها كنه ذواتنا. وترانا نميل إلى التساؤل عن سبب ذلك التشابه

شديدة التنوع، يشتركون في تناول الشاي مع الفنان وهو يرتدي الكيمون. فقد تدرب سيرني، الذي قضى فترة طويلة كتلميذ في مدرسة أوراسينكي في نيويورك يتعلم مراسم احتساء الشاي الشكلية في اليابان، على أداء الطقس في محيط تقليدي حيث يحمل كل تفصيل (زهرةً كان أو

مزهرية أو لفيفة معلقة أو مفرفة، إلخ.) وكل حركة (أنحاءاً كانت أو تحريكا أو تقديم الإستان، إلخ.) دلالة محددة.

غير أنه استبدل، فيما يتعلق بالصور الواردة ضمن مجموعة "واحد"، قاعة الشاي التقليدية بمكعب تقال من نفس الحجم تحدد محيطه أنابيب خشبية ومعدنية قابلة للطي. وإذ يحمل الفنان هذا "الفضاء التصوري" إلى أماكن حول العالم تبدو غير متوقعة - هافيليا في ريو وساحة تايمز سكوير في نيويورك وصحراء "ثار" في الهند ووردهة باشينكو في أوساكا - فإنه يخلق في كل موقع ملاذا صغيرا يتيح له الانغماس في تأمل فردي وهي لقاءات ودية مع غرباء لا هتئين للنظر.



الشديد في نظرات تلك الأيقونات المحدقة المتنوعة بين صور أرباب آشوريين وجورج واشنطن وأبطال إغريقيين وحكماء شرقيين - التي اختارت مجموعات شديدة الاختلاف فيما بينها أن تبديها وتحافظ عليها؟ ألسنا ندرك العامل المؤلِّف للحقيقي بيننا مجسداً في الحجر؟ يمكن أن تثير فينا النظرة التي ترمينا بها رؤوس تلك التماثيل، بدورها، مسألة ذاتية ناقدة. هل نستحق رفقتها؟ هل نحسن التعبير عن كنه ذاتنا مثلما تحسن هي ذلك؟ نظرتها التي لا تتم عن تردد تذكرنا بشفقة بمصيرنا المشترك ولعل في ذلك فائدة لنا. فالعيش في الحاضر، مهما كان عيشنا سعيداً، يعني أيضاً خضوعاً لمساءلة الأنداد ومساءلة التاريخ.

الحب

إن اختبار قدرتنا على أن نكون أفضل ما نستطيع قد لا يكون أكثر إلحاحاً إلا عندما يكتنفه الإحساس الذي تسميه مختلف لغات العالم "الحب".

فكلمة "أحبك"، التي تعبر عن جيشان عفوي في بعضها وتمثل تعاقداً شفهيّاً في بعضها الآخر، هي في الوقت ذاته شديدة البساطة وبالغة الأثر. فقد تدل على فكرة يمثل سداجة غرام المراهقة بين رفاق المدرسة أو في مثل التعقيد الفلسفي الذي يطبع مذهباً جوهرياً في الأخلاق أو

أساس ديانة هامة. وهي، من خلال التعبير الضمني عن منتهى التقدير لشخص آخر، تتطلب في نفس الوقت أعلى ما نملك - سواء كانت موجهة إلى شريك مشتهى أو إلى زوج أو صديق أو فرد من أفراد الأسرة أو حيوان مدلل أو حتى إلى شخص غريب.

والتنوع اللسني والتشكلي واللوني المميز للكتاب الذي بين أيدينا يعبر جوازاً عن التعقيدات التي لا تعد ولا تحصى المحيطة بواقعة نفسية كونية لا تتغير. لأن البشر بحاجة إلى الارتباط بعمق. والحقيقة الجوهرية لكلمة "أحبك" تكمن،

حسب رأي سيرني، في أن الناس قد يختلفون في نطقها بناء على تنوع ثقافتهم ولكنهم يتشابهون جداً من حيث مشاركتهم غيرهم في هذا الشعور العنصرى. فهم يقرون بأن ليس ثمة شعور آخر يؤلف بين قلوبهم بهذا التمام.

ريتشارد فاين

